

قصيدة الهايكو في الشعر الجزائري المعاصر

- ديوان (هايكو القيقب) لمعاشو قرور أنموذجا -

The Haiku Poem in the Contemporary Algerian Poetry Diwan (The Maple's Haiku) by Maachou Krouur as a Model

خالدية جاب الله¹*

¹ جامعة الإخوة منتوري/ قسنطينة 1 (الجزائر)، oughlici_you@yahoo.fr

تاريخ القبول: 2021 /11/16

تاريخ الإرسال: 2021 /09/04

الملخص:

الكلمات المفتاحية:

تسعى هذه الدراسة إلى تتبع شكل الهايكو في الشعر الجزائري المعاصر، من خلال تحديد مفهوم قصيدة الهايكو، والوقوف على تجلياتها عند أبرز روادها الجزائريين (عاشور فيني، الأخضر بركة، فيصل الأحمر، ...). ثم اختيار ديوان (هايكو القيقب) للشاعر معاشو قرور أنموذجا لرصد خصائص هذا الشكل الشعري القصير عند هذا الشاعر الذي خصّ الهايكو بدواوين كثيرة.

الشعر الجزائري المعاصر؛
قصيدة الهايكو؛
شجرة القيقب؛
التانكا؛
الكلمة الفصلية؛

ABSTRACT:

Keywords:

The contemporary Algerian poetry,
The Haiku poem,
The Maple tree,
Tanka,

This study seeks to trace the form of the haiku in the contemporary Algerian poetry, by defining the concept of the haiku poem, and examining its manifestations among the most prominent Algerian pioneers (Achour Fenni, El-Akhdar Barka, Faissal El-Ahmar). This study focuses on choosing the collection (The Maple's Haiku) by the poet Maachou Krouur as a model to check on the characteristics of this short poetic form of this poet who assigned a lot of poetic collection to the haiku.

* خالدية جاب الله

مقدمة:

تشهد الكتابة الشعرية المعاصرة، في معظم أرجاء الوطن العربي، ميلا واضحا إلى قصيدة الهايكو التي صارت تستقطب عددا كبيرا من الأسماء الشعرية.

وقد تحوّلت هذه المسألة إلى ظاهرة إشكالية كبيرة، تختلف وجهات النظر تجاهها، فبينما يراها البعض ظاهرة إيجابية ذات انعكاس تجريبي مؤكّد، يراها البعض الآخر ظاهرة سلبية تنم عن استسهال هذا الشكل التعبيري الذي حوّل الهايكو إلى "قصيدة بلا ضفاف"¹ على حدّ تعبير الناقدة آمنة بلعلی.

وبين هؤلاء وأولئك يبقى الهايكو، بوصفه شكلا شعريا مجرّدا، طريقة جديدة قادرة على تطوير الكتابة الشعرية العربية وإثرائها في مختلف مستوياتها التعبيرية والمضمونية.

علما أنّ هذه الطريقة الشعرية الجديدة لم تنل حقّها من البحث والدراسة.

فما هي قصيدة الهايكو؟ وما خصائصها؟ وكيف تجلّت في الشعر الجزائري المعاصر؟

1. مفهوم الهايكو والمفاهيم المجاورة له:

قصيدة الهايكو Haïku، أو الهيكدة² (بتعبير جمال الجزيري)، هي "أقصر قالب شعري ياباني، والغرض منه أن يعطي بإيجاز تام انطبعا عن حالة نفسية أو عن منظر طبيعي"³.

وإذا كان هذا التعريف عاما، فإنّ (قاموس النقد الأدبي) الفرنسي يقدّم مفهوما تقنيا دقيقا للهايكو، يحيط بمعظم خصائصه الشكلية والمضمونية والتاريخية؛ حيث "الهايكو قصيدة يابانية تتشكّل من 17 مقطعا صوتيا، موزّعة على ثلاثة أبيات : 5، 7، 5 (مقاطع) على التوالي.

والمصطلح (Haïku) هو نحت من كلمتي Haïkai (وهي قصيدة ذات طابع فكاهي)، و Hokku التي تدلّ على مقطع استهلاكي ضمن متتالية مكوّنة للرّنغا Renga (المصطلح الكامل هو : Haïkai no renga)، وهي قصيدة مترابطة، محصّلة لإبداع جماعي، حيث كل شاعر يقترح مقطوعة، وقد يصل المجموع إلى آلاف المقطوعات. ومنذ القرن السابع عشر بدأ المقطع الاستهلاكي (الهُوكُو) ينفصل عن (الرّنغا)، حتى صار الهايكاي هوكو (Haïkai-hokku) نوعا مستقلا، منذ ذلك إلى اليوم"⁴.

هذا على الصعيد الشكلي، أمّا "على صعيد المحتوى، فهو يتعلّق دائما -وضمنا على العموم- بفضّل من فصول السنة"⁵.

وأما على الصعيد التاريخي فإنّ الشاعر "ماتسو مونيفوسا (المعروف باسم باشو Bashô) يعدّ باعث هذه الأشكال القصيرة -في القرن السابع عشر- ردّا على الإبداع الجماعي. وإنّ مصطلح Haïku قد اقترحه -في نهاية القرن التاسع عشر- شيكي (Shiki)، وشاع في القرن العشرين تحت تأثير تلميذه كيوشي (Kyoshi) (...). وقد مارس هذا النوع كثير من الشعراء الفرنسيين في القرن العشرين، ومنهم إوار Éluard الذي عبّن (سنة 1920) مجموعته الشعرية (لنحيا هنا) بالعنوان الفرعي (أحد عشر هايكاي)..."⁶.

إذن، فإنّ الهايكو هو مزج للهايكاي والهوكو، يشكّل مطلعًا (استقلّ لاحقًا بنفسه) لسلسلة من القصائد الجماعية المتصلة، تسمى الرنغا.

وقريبا من الهايكو ذي الأبيات الثلاثة والمقاطع السبعة عشر (5، 7، 5)، يقع شكل شعري مشابه اسمه التانكا Tanka، وهو "قصيدة يابانية ذات شكل ثابت مكوّن من 31 مقطعًا صوتيًا، موزّعة على خمسة أبيات: 5، 7، 5، 7، 7".⁷

وعلى العموم، فقد ظهر الهايكو بهذا الشكل الصارم الذي تعود أصوله إلى "البوذيين من طائفة الزين - Zen-Buddhists"⁸ ناجما عن رغبة "حب اليابانيين للكمال في الأشياء الصغيرة"⁹.

ويذكر حمدي الدوري¹⁰ من خصائص الهايكو: تصوير الطبيعة، ونبد الحرب والعنف، وبساطة اللغة، والتركيز، والسرعة والمباشرة والبصرية والتعبير الاعتيادي عن أفكار غير اعتيادية...

2. تجليات الهايكو في الشعر الجزائري:

يبدو أنّ عمر الهايكو في الشعر العربي قصير جدًّا، لا يتعدّى الخمسين سنة الأخيرة إلا بقليل، حين ظهر ديوان (يا عنب الخليل) للشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة (1946-2021)، سنة 1968، وفيه قصيدة عنوانها (هايكو-تانكا)¹¹ تتّجه بوعي واضح نحو كتابة قصيدة هايكو "ثلاثية أبيات" كما عبّر عنها، وقصيدة تانكا "خماسية أبيات" كما وصفها أيضا، وفي فعله هذا تقيّد حرّفي بالقوانين الشكلية العامة لكتابة الهايكو والتانكا.

ثمّ ظهرت أسماء عربية أخرى أبدعت في هذا المجال، يمكن أن نذكر منها: محمد الأسعد، وعبد الكريم كاصد، ومحمد عظيمة، وبشرى البستاني، وعاشور الطويبي، وسامح درويش، ومحمود الرجبي، وعذاب الركابي،...

وقد تأخّر حضور الهايكو في الشعر الجزائري إلى غاية ظهور ديوان (هنالك بين غيايين يحدث أن نلتقي)، سنة 2007، للشاعر الدكتور عاشور فني، الذي وطّأ له بتقديم بياني تاريخي يكشف عن وعي عميق بمسؤولية كتابة الهايكو.

ومّا يمكن استخلاصه من تلك المقدمة¹²، ما يأتي :

- قصيدة الهايكو من علامات الحداثة الشعرية، تلك الحداثة التي ليست غريبة بالضرورة، بل هي كونية ذات مصادر متعدّدة؛ ومنها المصدر الشرقي (الياباني).

- اهتدى عاشور فني إلى هذه القصيدة، في صيف 2003، ثم نشر بعض نماذجها في أبريل 2005، في ملحق (الأحرار الثقافي).

- كانت المدرسة التصويرية (مثلة في الشاعر الفرنسي بول إوار الذي قاده إلى العالم التصويري الأمريكي عند إزارباوند وغيره) نافذة عاشور فني الأولى التي أطلّ منها على عالم الهايكو.

- قصيدة الهايكو عنده، هي قصيدة النّفس الواحد الذي يستوعب قصرها المشكل من ثلاثة أسطر و 17 مقطعا.

- الهايكو عنده هو "شكل جديد للكتابة الشعرية"، وليس بديلا لشكل القصيدة التي تعود كتابتها سابقا.

- يقتضي الهايكو تطوير لغة شعرية تتجه "نحو البصري والحركي والآني".
- كان عاشور فني، في مرحلة ما قبل الاهتداء إلى هذا الشكل الجديد، يتحرى قواعد الهايكو (اقتصاد اللغة وبناء الصورة) دون علم مباشر بذلك.

- يتأسس الهايكو "على قيم جمالية كونية بسيطة تجسد صوراً لها عند كل الشعوب وفي كل الحضارات".
- تقوم فلسفة الهايكو عنده على اكتشاف ما يعتمل في الذات الشاعرة في علاقتها بالكون واستبصار اللحظة البسيطة التي يلتقي فيها الكوني والذاتي والأبدى، كما يلتقي الآني والمجرد باللموس والوعي بالطبيعة. وتلك هي "لحظة الهايكو"، وهي لحظة تلقائية مباشرة بسيطة واعية حادة، خالية من مختلف أشكال التكلف.
وفي ضوء هذا التصور، مارس عاشور فني كتابة عشرات النماذج الشعرية من الهايكو.
يقول على سبيل المثال في هايكو عنوانه (زهور):

"عيون الحديقه

تحدّق بي

وقلبي فراشه"¹³.

ينخرط هذا النموذج في مشهد حسّي بصري، ضمن فضاء طبيعي، تؤمّنه الكلمة الفصلية الربيعية (فراشة)، فضلاً عن مواصفات شكلية أخرى؛ كعدد الأبيات (03 أسطر)، بالإضافة إلى إيقاع الهايكو؛ حيث لا يتخلّى عاشور عن الوزن عادة، وبسهولة نلاحظ أنّ هذا النموذج لا يخرج عن عروض قصيدة من وزن المتقارب (فعولن وزحافاتهما وعللها : فعول، فعو) :

(فعولن فعولن)

فعولُ فعُو

(فعولن فعولن)

كما نلاحظ أنّ الشاعر يعطي عنواناً لهذا الهايكو (زهور)، وهو من الشعراء العرب القلائل الذين يعنونون الهايكو.

لقد أغرت تجربة عاشور فني هذه شعراء جزائريين آخرين وفتحت أعينهم على عالم الهايكو الجديد، الذي استقطب أسماء كثيرة جديدة، يمكن أن نذكر منها : الأخضر بركة، وفيصل الأحمر، ورياض بن يوسف، ومعاشو قرور، ومسعود حديبي، وعفراء طالبي، ورضا ديداني، وسامية بن عسو، وعبد الله عباسي، ورضوان شيخي،...
وقد ضمت (أنطولوجيا قصائد الهايكو العربية)¹⁴ نماذج خمسة شعراء جزائريين (عفراء قمير طالبي، رضوان شيخي، حبيبة محمدي، معاشو قرور، عاشور فني).

من الشعراء الجزائريين الذين يلتقون مع الهايكو بمقدار ما يختلفون عنه الشاعر الدكتور فيصل الأحمر في ديوانه (قل.. فدل)، وهو ديوان مصدر بمقدمة نقدية عميقة عنوانها (ارتقاء إلى الهايكو)، يلخص فيها تصوّر الذاتي للهايكو. ويجدد ما أخذه عنه وما طرحه منه.

وهو يعترف بأن لقاءه الأول بالهايكو قد تمّ عن طريق بول إوار في ديوانه (11 هايكي)، وجوهر الهايكو عنده هو أنه "شكل شعري معقد بسبب بساطته المفردة"¹⁵.

وهو "شعر تأملي موضوعه الأساسي الإنسان في الإطار الطبيعي أي أنه نوع من النظرة المتأملّة والسريعة لعلاقة الإنسان بالوجود وخلاصة التفكير باختصار وبدون ادّعاء العمق"¹⁶.

إنّ قصيدة الهايكو عند فيصل الأحمر قصيدة "بسيطة خالية من التكلّف اللغوي والبهرجة البلاغية تعبّر عن تأمل قصير في حياة الإنسان في كنف الحركات الشفافة لمكوّنات الطبيعة، مع حضور عنصري الدهشة والتعجب اللذين قد يتحوّلان إلى التهكم أو الموقف الساخر من تناقضات الحياة..."¹⁷. إنّها قصيدة "لحظة الصفاء الروحي"¹⁸. ومن الناحية الشكلية، فإنّ فيصل الأحمر يعترف بأنّه "قليل الاهتمام بالقواعد الشكلية التي اعتقد أنّها لم تخرج يوما من اليابان"¹⁹.

وقد ترجم "قلة الاهتمام" هذه في ممارسته لكتابة الهايكو ضمن ديوانه، حيث جاءت أغلب قصائده في شكلها وعنوانها عبارة عن "سباعيات" (سباعية المثنى، سباعية فلسفية، سباعية الخلاصات، سباعية المشاهد السبعة، سباعية الوصايا، سباعية الموت، سباعية التماهي،...).

ولا تعني السباعية عنده أنّ القصيدة تتشكّل من سبعة أبيات أو سبعة أسطر، بل تعني أنّ كل قصيدة تتشكّل من سبعة مقاطع، من الممكن أن يستقلّ كلّ مقطع بنفسه قصيدة قائمة بذاتها.

كما نلاحظ، من ناحية أخرى، أن تجربة فيصل الأحمر تشبه تجربة عاشور فني في أمرين: أولهما عنونة القصائد، والثاني عدم التخلي عن التفعيلة.

ويعدّ الشاعر الدكتور الأخضر بركة من أغزر شعراء الهايكو الجزائريين والعرب، وأكثرهم التصاقا بعوالم الهايكو الطبيعية والمشهدية، ومن أشدهم وفاءً لقواعد الهايكو؛ وخاصة هيكله الثلاثي الذي يشبه سطره الثلاثة في أحد نصوصه بأضلاع المثلث:

"أمس، اليوم، غدا

وحده الهايكو

يكسر أضلاع المثلث"²⁰.

يتضمّن ديوانه الضخم (حجر يسقط الآن في الماء) أكثر من 360 نصّا من نصوص الهايكو، تتشابه في قيامها على معظم خصائص الهايكو الموروثة عن أصولها الأولى.

إنّ رؤية الأخضر بركة للعالم تتمثله كومة رمل تتسرّب بين أصابعه، وما يتبقى من حبّاتها القليلة في كفه هو الهايكو، أي ذاك العالم مختزلا في كلمات قليلة :

"العالم قبضة رملٍ

نصّ الهايكو

ما يتبقى في اليد منها"²¹.

ومن الجميل أن يتصدّر هذا النص العتبات النصية لنصوص الديوان كلّها، فيكون فعلا بمثابة منطلق (رؤية العالم) الشعري عنده.

في كلّ نصّ من نصوص هذا الديوان تجتمع معظم خصائص الهايكو الجوهريّة؛ يقول على سبيل المثال :

"من النافذة، بعد الخمسين

الخريف يجرّ

عربة العمر نحو العدم"²².

هناك مكان (النافذة)، وزمان (بعد الخمسين)، وكلمة فصلية (الخريف)، وفعل حاضر (يجرّ)، ومشهد بصري (عربة مجرورة)، ونهاية مدهشة لحياة عدمية تترجمها صورة بليغة لعربة تجرّ إلى العدم في خريف العمر.

وعلى هذا المنوال ينسج الشاعر معظم نصوصه الأخرى.

أمّا الشاعر الدكتور رياض بن يوسف، فيمكن أن يكون من أواخر الشعراء الجزائريين التحاقا بركب الهايكو، في ديوانه الجديد (الغيمة سقف متنقل) الذي يطوف بمختلف الأشكال الشعرية والموضوعات المضمونية، وقد ضمّنه قليلا من نصوص الهايكو²³، لها عناوينها، كما رأينا عند عاشور في : (إغواء، حريق، سماء، ثورة، فناء، حلم، جنازة، جفاف، تملّص، بلاغة، فقص)، ولأنّ "البلاغة الإيجاز"، فقد التزم الشاعر الإيجاز حتى في عناوين القصائد، والتي لا تتعدّى الكلمة الواحدة. أمّا النصوص في حدّ ذاتها فقد التزمت بالبناء التقليدي العتيق للهايكو (03 أسطر) مع حضور واضح للمعجم الطبيعي (شجرة خريفية، سطح البحر، السماء، الغيمة، العصفور،...).

ونلاحظ في نصّه (تملّص) مشهدا جميلا، يشبه مشهدا سابقا رأيناه عند الأخضر بركة، يتمثل قصيدة الهايكو سمكة رخوة عصية على الإمساك بها، في إشارة واضحة إلى سهولة الهايكو الممتنعة:

"كسمكة رخوة ...

تملّص من يدي...

قصيدة الهايكو"²⁴.

3. تجربة الهايكو عند معاشو قرور:

تعدّ تجربة الهايكو عند معاشو قرور (أستاذ الأدب في جامعة ابن خلدون بتيارت) من أكثر التجارب الجزائرية والعربية تحقيقا للتراكمية الكمية والكيفية، فقد أفرزت هذه التجربة -إلى حدّ الآن- أربعة دواوين كاملة:

1. هايكو اللقلق²⁵

2. هايكو القيقب²⁶

3. اسطراب لقياس الكيغو²⁷

4. حقل مضجّج بشقائق النعمان²⁸

ويبدو صاحب هذه الدواوين مؤهّلا لخوض تجربة الهايكو باقتدار شديد، نظرا لمجموعة من العوامل أبرزها استعداده للتعبير بالأشكال القصيرة، حتى خارج الشعر؛ وقد أبان عن ذلك في المجال السردي حين نشر مجموعة

قصيدة قصيرة جدا بعنوان (الوصية)²⁹. كما أنه فنان تشكيلي معروف مارس الفن التشكيلي خطأ ورسمًا، ونظرًا للثقافة البصرية في بعض أعماله العلمية النقدية³⁰.

كل ذلك، بالإضافة إلى وعيه النقدي الكبير بفن الهايكو وإطلاعه الواسع على كثير من تجاربه في الشعر العربي العالمي.

وتبدو هذه الثقافة بوضوح في كل دواوينه، ففي ديوانه (هايكو اللقلق) على سبيل المثال نلاحظ هذه الهندسة الهايكية الواضحة لنصوصه؛ حيث يقسم الديوان إلى 12 تانكا (كل نص يعادل شهرًا من شهور السنة)، ويُتبع كل نص تانكا بتسعة نصوص هايكو، بمجموع 108 نصوص هايكو.

مع وفاء مطلق لقاعدة عدد الأبيات (الأسطر) في كل شكل، إذ يستهلّ الديوان بهذا التانكا الأول، القائم على خمسة أسطر:

"قشّة، قشّة"

يبني اللقلق عشّه

من درب التبانة

على لقلقة الفراخ،

راع يسدّد مقلّاعه"³¹.

ثمّ يلحقه بتسعة نصوص هايكو، يقوم كل نص على ثلاثة أسطر، لا يستغني أيّ منها عن الكلمة الفصلية. وفي ديوانه (اسطراب لقياس الكيغو)، نلاحظ أنّه يستعمل المصطلح النقدي "الكيغو" في عنوان الديوان، والكيغو (Kigo) في ثقافة الهايكو هو الكلمة الفصلية التي "تدلّ على الفصل الذي كُتبت عنه القصيدة، أو إشارة إلى عالم الطبيعة"³².

ثمّ يقسم محتوى الديوان إلى أربعة فصول، يتخذ كلّ فصل منها عنوانًا: (الشتاء: ذوبان رجل الثلج)، (الربيع: وشيء حائل)، (الصيف: يحفر بئرا)، (الخريف: مقصوص جريد النخل).

يستهلّ كلّ فصل بنصّ من التانكا؛ على سبيل المثال:

"بناتُ الحدّاد-

بقمازات الصوف،

يصنعن تمثال الثلج

يا لبرودة الصفائح،

على حوافر البردّون!"³³

ثمّ يردف كل تانكا/ كلّ فصل بواحد وعشرين نصًا من الهايكو؛ على سبيل المثال:

"أكتب سيرتي-

من نافذتي يشجيني،

ذوبان رجل الثلج³⁴.

ليكون المجموع 84 نصا من الهايكو، بنفس الملامح العامة (05 أسطر للتانكا، و03 للهايكو، وضوح في الكيغو، حضور بصري مشهدي، خاتمة مدهشة إلى حد كبير،...).

4. خصائص قصيدة الهايكو في ديوان (هايكو القيقب) :

4.1. سمات الهايكو في النص الموازي لنصوص الديوان :

سنحاول التركيز على أكثر العلامات النصية الموازية التي تبدو موضع اشتغال دلالي كبير في هذا الديوان، ومن تلك العلامات:

1.1.4. العنوان/ لوحة الغلاف :

عنوان الديوان (هايكو القيقب): جملة اسمية مشكّلة من مُضاف شعري (الهايكو باعتباره نوعًا شعريًا يُؤطّر جنس النصوص التي يضمّها الديوان)، ومُضاف إليه (القيقب بوصفه علامة طبيعية تختزل عالم الطبيعة الذي لا يمكن لشعر الهايكو أن ينمو خارجه).

يتواطأ العنوان الخارجي (هايكو القيقب) مع لوحة الغلاف (صورة شجرة القيقب)، ويتحدان لتشكيل هواجس شعرية تتخذ من (القيقب) منطلقا لها، تلك الهواجس التي لا نستطيع الإمام بها دون العودة إلى مرجعيات شجرة القيقب، كما قرأناها في ويكيبيديا³⁵؛ ومعلوم أنّ دولة كندا قد اتخذت منها شعارا وطنيا، منذ سنة 1965، حين رُفِع العلم الكندي أول مرة، وقد جعل من ورقة القيقب (التي يتغيّر لونها في الخريف) شعارا له. القيقب إذن رمز وطني كندي حديث، مذكور في الأغنية الشعبية الكندية الشهيرة (Maple leaf forever) 1867.

وقد برزت ورقة القيقب في الثقافة الكندية سنة 1834، حين اتخذتها جمعية اللغة والثقافة الكندية الفرنسية شعارا لها، فكأنّها رمز للمثاقفة الكندية الفرنسية هناك، كما هي رمزٌ للتثاقف الشعري الجزائري الياباني في ديوان الشاعر هنا، خاصّة أنّ للقيقب أنواعا مختلفة (تبلغ حوالي 125 نوعا) من بينها "القيقب الياباني" (Acer Japonicum) بلونه الرمادي المحمّر، الذي تصرّ عليه لوحة الغلاف.

كأنّ اعتداد الشاعر بنوع هذه الشجرة (القيقب الياباني) هو اعتداد بالأصول اليابانية لهذا النوع الشعري (الهايكو). ويتجلّى هذا الاعتداد في وفاء الشاعر لقواعد الهايكو والتقيد الكبير بمعظمها.

كما أنّنا حين نتذكر أن أوراق القيقب تنمو في أزواج، كلّ ورقة عكس اتجاه الأخرى، وهي من نباتات الزينة ذات الفلقتين، التي تزداد جاذبيتها في فصل الخريف.

حين نتذكر كلّ ذلك فإنّنا نلاحظ أن صورة القيقب كأنّها علامة فصلية (Kigo) توحى بالخريف، كما أنّ ثنائية الورقتين والفلقتين في الشجرة كأنّها توحى بفكرة الصورتين أو الحالتين أو اللقطتين اللتين تشكّلان معظم مشاهد نصوص الهايكو في سطره الأولين، ثم يجيء السطر الأخير نتيجة توضيحية لامتراج الصورتين.

5. 1. 2. التقديم الذاتي/ بيان الهايكو:

من أبرز النصوص الموازية المهمة في ديوان (هايكو القيقب) مقدّمته الذاتية التي تولّى الشاعر نفسه صاحب الديوان تطويرها بثقافة نقدية واضحة، وقد سمّاها: (بمثابة بيان: الهايكو - Haiku قالب الدهشة السانحة)³⁶. تغطّي المقدمة ثلاث صفحات من الديوان، وهي بيان فعليّ للهايكو كما يتصوّره الشاعر، يذكّرنا ببيانات السرياليين وما يشبهها.

يشير البيان إلى إحدى عشرة نقطة من أهمّ النقاط التي يتدارسها المهتمّون بشأن الهايكو. يمكن اختصارها فيما يأتي:

- الهايكو قالب الدهشة السانحة
 - الهايكو اقتناص اللحظة الهاربة
 - الهايكو قصيدة المشهدية
 - الهايكو امتلاك لمنظور الرسم
 - الهايكو تضاييف السمعي والبصري
 - الهايكو تجاوب مع جماليات المواسم الأربعة
 - الهايكو تخفيف لعلواء البلاغة (الاستعارات والمجازات)
 - مصير الهايكو مرهون بالقدرة على الانتقال من الإنشادي إلى التصويري.
- ونلاحظ أنّ هذا التقديم، الذي يكاد يصبح نظريةً للهايكو كما يتصوّرها الشاعر صاحب الديوان، قد استعان في سبيل تلك الغاية ببعض المصطلحات الرائجة عند دارسي هذا الفن، ومنها: "حكايات الزنّ Zen"³⁷؛ وفي استعمال هذا المصطلح إشارة إلى أصول الهايكو الأولى عند هذه الطائفة البوذية.
- ومصطلح "المواسم الأربعة (الكينغو)"³⁸، الذي يشير بوضوح إلى الفصول الأربعة (kigo) التي تؤطر الفضاء الطبيعي لنصوص الهايكو.
- إنّ هذه المقدّمة هي بمثابة النظرية التي يحاول الشاعر أن يمارس كتابة نصوص (هايكو القيقب) في ضوء مبادئها المعلنة.

4. 2. سمات الهايكو في نصوص (هايكو القيقب):

تُعرف قصيدة الهايكو بأنّها "شكل شعري يتألّف من ثلاثة أسطر، مكوّنة من خمسة مقاطع في السطر الأوّل، وسبعة مقاطع في السطر الثاني، ثم خمسة في السطر الثالث والأخير (...). أمّا الهايكو العالمي الحديث فإنّه يتحرّر عادة من قيد عدد المقاطع الموجود في اليابانية. تعبّر قصائد الهايكو عن الطبيعة، وغالبا تتبع أسلوبا مباشرا، وتثير القارئ بمشهد من مشاهد الطبيعة، كما تحاول قصيدة الهايكو القبض على صورة مجردة في زمان ومكان محدّدين، ويتطلّب لها كلمة تشير إلى الفصول السنوية حتى تصنع القصيدة في فصل محدّد، كما يتطلب لها أيضا كلمة تدلّ على القطع أو الوقف من أجل تغيير حركة القصيدة"³⁹.

هذا تعريف جامع مانع لشروط الهايكو، نحاول أن نستمد منه سمات قصيدة الهايكو في ارتباط نصوص (هايكو القيقب) بها :

1.2.4. الحجم الثلاثي لأبيات القصيدة :

خلافًا للتانكا التي تقوم على 05 أبيات (أسطر)، فإنّ من قواعد الهايكو الأساسية أن يقوم على 03 أبيات. يقول معاشو :

"لاهتا في إثرها-

أهشّ عنها أوراق القيقب،

تذكرة سفر كندية"⁴⁰.

يضمّ (هايكو القيقب) 100 نصّ كلّها -دون استثناء- تخضع لنظام الثلاثة أسطر الذي يبيّن مدى التقيّد المطلق للشاعر بهذه القاعدة.

4. 2. 2. ترقيم النصوص بدّل عنونها :

خلافًا لما رأينا في نصوص عاشور في رياض بن يوسف السابقة التي تُعنون نصوصها، فإنّ معاشو قرور في نصوصه المئة التي يضمّها (هايكو القيقب) يكتفي بترقيمها فقط من 1 إلى 100، دون اللجوء إلى عنونها. وفي هذا أيضا تقيّد مطلق بتقاليد الهايكو.

4. 2. 3. الكلمة الفصلية وفضاء الطبيعة :

الكلمة الفصلية (kigo) في فن الهايكو هي "إشارة مباشرة لشهر من الشهور، أو فصل من فصول السنة، وربما تشير أيضا إلى ظاهرة طبيعية مرتبطة بفصل معين كظهور نوع من الطيور أو الأزهار، وهي ليست محصورة في الإشارة للزمن، وإتّما قد تتعد إلى ظواهر طبيعية وإنسانية واجتماعية وثقافية مرتبطة بفصل ما"⁴¹. والملاحظ أنّ نصوص (هايكو القيقب) تعجّ بمثل هذه الإشارات الفصلية، احتفاءً بالطبيعة التي هي الفضاء الحيوي للهايكو.

هناك إشارات إلى كثير من الأشجار والنباتات : القيقب الذي يتكرّر أكثر من عشرين مرة (ص : 13، 17، 18، 25، 30، 37، 42، 49، 54، 61، 73،...)، النعناع (ص 28، 77)، السنابل (ص 29)، الطماطم (ص 31)، الليمون (ص 33)، الصندل (ص 38)، اللوز (ص 52، 55)، الصنوبر (ص 127)، الكاليتوس (ص 116)،... وإشارات إلى بعض الطيور : السنونوة (ص 28)، البومة (ص 111)، الديكة (ص 41)، الغراب الأسود (ص 50)...

وإشارات إلى الحيوانات : (ابن آوى، الأرنب، الأرنب البري، القط، الخُمُر الوحشية،...) والحشرات (الجرادة، الحباب، النملة، الجندب، الدبابير،...).

هناك أيضا إشارات إلى بعض الظواهر الطبيعية (البرق، الشمس، الرياح، المطر، الضباب، الجليد،...).

وهناك إشارات فصلية واضحة ومباشرة أحيانا؛ كالشتاء (ص 20، 92)، والخريف (ص 121)، والمراعي (ص 43)، والحصاد (ص 130)، والحذاء الشتوي (ص 56)، وسكة المحراث (ص 55).
وغيرها من الإشارات التي تؤكد أنّ نصوص (هايكو القيقب) لا تستغني أبدا عن الكلمة الفصلية، وأنّ الطبيعة هي الإطار العام الذي تشتغل لغة الهايكو عند معاشو ضمنه.

4. 2. 4. المشهدية البصرية

تراهن نصوص (هايكو القيقب) على الانتقال من الإنشادي إلى التصويري، لرسم مشاهد بصرية، انطلاقا من الإيمان بأنّ "الهايكو هو مسطرة أسر المشهدية"⁴²، كما جاء في مقدّمة الديوان.
ولذلك فإنّ الديوان يعجّ بالصور المتقطّعة، كهذا المشهد غير النبيل لكلب يتبول فوق غصن الليلك الطري:
"ليس من النبالة-

حيث يبرعم الليلك غصنا

كلبٌ يرفع رجله!"⁴³

أو هذه الصورة المجرّدة لمشهد السلك الشائك الصّدئ الذي يسعى دوما إلى الحيلولة دون ائتلاف المختلفات، فيحول دون عناق الورود والأشواك:

"من طول أمدي-

في عناق الورد للشوك،

يصدأ سلكٌ شائك"⁴⁴.

ونلاحظ أنّ معظم الصور والمشاهد موضوعية، لا دخل للذات فيها؛ حيث تقلّ أفعال المتكلّم في معظم النصوص، كما أنّها صور من الزمن الحاضر؛ حيث تنفّس أفعال المضارع في لغة الديوان (ينفث، تنضج، يزهر، تقطر، تتحمل، تفوح، تنمو، تزبر، تدرع، تسيل، تستسقي، يستظل، تتكسّر، يتدلّى، تتناقط، يدوس، يبرعم، تلاحق، تخيط،...).

وهو ما يسمى في ثقافة هذا الفن بـ (لحظة الهايكو)؛ إذ تُكتَب قصيدة الهايكو "غالبا في الزمن الحاضر؛ لتوصيل اللحظة مباشرة حتى لو كانت القصيدة من آثار تجربة سابقة، أو بعد حدوث التجربة"⁴⁵.

4. 2. 5. الدهشة الختامية :

يشترك الهايكو مع قصيدة التوقية ومجمل القصائد القصيرة في الدهشة الختامية التي يتفاجأ القارئ بها حين ينهي قراءة السطر الأخير؛ حيث يباغتُ بنهاية لم يكن يتوقّعها، كأن يندهش وهو ينظر إلى مشهد طائرة ممدودة السّلم أمام ركّابها تحت زخّات المطر؛ حيث ينقلب المشهد أمام بصره فجأة حين فراغه من قراءة النص، ليجد أنّ الطائرة صارت طيرا، وأنّ سلّمها هو لسان الطير، وقد صارت للطائرة/ الطير حوصلة تمتلئ بحبّ الركاب:

"يمدّ لسانه السّلم-

واقفاً تحت زخّات المطر

حتى تمتلئ حوصلة الطائرة"46.

خاتمة:

نلاحظ في الأخير أنّ الشعر الجزائري حديث العهد بفنّ الهايكو، لا يتجاوز عمره عقدين من الزمن، وقد كان لتجارب عاشور فني والأخضر بركة ومعاشو قرور وغيرهم دور كبير في ترسيخ هذا الفن. كما نلاحظ أنّ تجربة معاشو قرور قد تميزت عن غيرها من التجارب الأخرى القليلة بكثرة دواوينه، وشدة انصياعه لتقاليد الهايكو وقواعده (الحجم الثلاثي للأبيات، الفضاء الطبيعي، الكلمة الفصلية، الزمن الحاضر، المشاهد البصرية، الدهشة الختامية،...).

وأنّ مقدّمته النظرية لديوانه (هايكو القيقب) من الممكن أن تكون (بمثابة بيان) لفن الهايكو بصورة عامة. ولذلك فإنّ البحث يوصي بمزيد من مُدَارَسَة هذا الموضوع للوقوف على الموقع الفني الصحيح لتجربة الهايكو من الشعر الجزائري المعاصر.

المصادر والمراجع :

1. الأحمر، فيصل، 2017، قلّ...فدّل، دار المثقف، باتنة.
2. بركة، الأخضر، 2016، حجر يسقط الآن في الماء، دار فضاءات، عمان.
3. بلعلي، آمنة، 2014، خطاب الأنساق - الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.
4. بن يوسف، رياض، 2021، الغيمة سقف متنقل، منشورات فاصلة، قسنطينة.
5. الجزيري، جمال، 2016، مقدمة نقدية في قصيدة الهايكو، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني.
6. الدوري، حمدي حميد، 2018، شعر الهايكو الياباني وإمكانياته في اللغات الأخرى، دار الإبداع للطباعة والنشر، تكريت.
7. وهبة، مجدي، 1974، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت.
8. المناصرة، عز الدين، 2006، الأعمال الشعرية، الجزء 1، دار مجدلاوي، عمّان.
9. عمارة، عباس محمد، 2019، أنطولوجيا قصائد الهايكو العربية، منشورات مومنت، المملكة المتحدة.
10. فني، عاشور، 2007، هنالك بين غيابين يحدث أن نلتقي، دار القصة للنشر، الجزائر.
11. الصلهي، حسن، 1437هـ، صوت الماء (مختارات لأبرز شعراء الهايكو الياباني)، كتاب الفيصل (11)، الرياض.
12. قرور، معاشو، 2019، إسطرلاب لقياس الكيفو، دار الأوطان، الجزائر.
13. معاشو، قرور، 2015، هايكو اللقلق، دار فضاءات، عمان.
14. قرور، معاشو، 2015، هايكو القيقب، دار فضاءات، عمان.
15. قرور، معاشو، 2017، الوصية (قصص قصيرة جدا)، دار فضاءات، عمان.

16. Tamine (Joëlle Gardes), Hubert (Marie-Claude) : Dictionnaire de critique littéraire, Armand Colin, Paris, 2004

الهوامش والإحالات:

- ¹ آمنة بلعلي : خطاب الأنساق - الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2014، ص 183.
- ² جمال الجزائري : مقدمة نقدية في قصيدة الهايكو، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ط1، فبراير 2016، ص 160.
- ³ مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص 202.
- ⁴ Joëlle Gardes Tamine, Marie-Claude Hubert : Dictionnaire de critique littéraire, Armand Colin, Paris, 2004, p.92.
- ⁵ Ibid. p. 92.
- ⁶ Ibid. p. 92.
- ⁷ Ibid. p. 217.
- ⁸ حمدي حميد الدوري : شعر الهايكو الياباني وإمكانياته في اللغات الأخرى، دار الإبداع للطباعة والنشر، تكريت، ط1، 2018، ص 09.
- ⁹ نفسه، ص 11.
- ¹⁰ نفسه، ص 21-22.
- ¹¹ عز الدين المناصرة : الأعمال الشعرية، الجزء 1، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006، ص 20.
- ¹² عاشور فني : هنالك بين غيايين يحدث أن نلتقي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 05-11 .
- ¹³ نفسه، ص 23.
- ¹⁴ عباس محمد عمارة : أنطولوجيا قصائد الهايكو العربية، منشورات مومنت، المملكة المتحدة، 2019.
- ¹⁵ فيصل الأحمر : قل... فدلّ، دار المنقف، باتنة، ط1، 2017، ص 06.
- ¹⁶ نفسه، ص 07.
- ¹⁷ نفسه، ص 08-09.
- ¹⁸ نفسه، ص 09.
- ¹⁹ نفسه، ص 06.
- ²⁰ الأخضر بركة : حجر يسقط الآن في الماء، دار فضاءات، عمان، ط1، 2016، ص 84.
- ²¹ نفسه، ص 05.
- ²² نفسه، ص 191.
- ²³ رياض بن يوسف : الغيمة سقف متنقل، منشورات فاصلة، قسنطينة، ط1، 2021، ص ص 71-74.
- ²⁴ نفسه، ص 73.
- ²⁵ معاشو قرور : هايكو اللقلق، دار فضاءات، عمان، ط1، 2015.
- ²⁶ معاشو قرور : هايكو القيقب، دار فضاءات، عمان، ط1، 2015.
- ²⁷ معاشو قرور : اسطراب لقياس الكيغو، دار الأوطان، الجزائر، ط1، 2019.
- ²⁸ معاشو قرور : حقل مضرع بشقائق النعمان، دار الشامل، فلسطين، 2019.
- ²⁹ معاشو قرور : الوصية (قصص قصيرة جدا)، دار فضاءات، عمان، ط1، 2017.
- ³⁰ صدر له كتاب (الأمية البصرية) عن دار ميم، الجزائر، 2013.
- ³¹ هايكو اللقلق، ص 13.
- ³² شعر الهايكو الياباني وإمكانياته في اللغات الأخرى، ص 16.
- ³³ اسطراب لقياس الكيغو، ص 11.
- ³⁴ نفسه، ص 13.

³⁵ <http://ar.m.wikipedia.org>

³⁶ معاشو قرور : هايكو القيقب، ص ص 7-9.

³⁷ هايكو القيقب، المقدمة، ص 07.

³⁸ نفسه، ص 08.

³⁹ حسن الصلهي : صوت الماء (مختارات لأبرز شعراء الهايكو الياباني)، كتاب الفيصل (11)، الرياض، 1437هـ.

⁴⁰ هايكو القيقب، ص 18.

⁴¹ صوت الماء، ص 18.

⁴² هايكو القيقب، ص 07 (المقدمة).

⁴³ نفسه، ص 117.

⁴⁴ نفسه، ص 81.

⁴⁵ صوت الماء، ص 19.

⁴⁶ هايكو القيقب، ص 80.